ISSN 1412-226x

الأزهار

نصف سنوية محكمة تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية والعربية

في هذا العدد

- الحفاظ على البيئة ودفع تلويثها في الإسلام
- متعلم العربية في إندونيسيا حاجاته وتطلعاته
- المعرفة والبحث عن اليقين عند عبد الكريم القشيري
- سلسلة الشخصيات الحوارية في القرآن
- قلب الدين صوره وتكييفه دراسة تأصيلية تحليلية
- منهج فهم السنة النبوية عند الإمام الشافعي في كتابه "الرسالة"
- ضوابط معرفة الحديث الموضوع عند ابن القيم في كتابه المنار المنيف

السنة الثالثة عشرة العدد 1 1437 هـ/2016م

ISSN 1412-226x

AL-ZAHRÄ'

الزهراء

نصف سنوية محكمة تصدر عن كلية الدراسات الإسلامية والعربية
بجامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية جاكرتا، تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية والعربية

A refereed academic twice yearly, published by Faculty of Islamic and Arabic Studies,
Syarif Hidayatullah State Islamic University (UIN) Jakarta,
and concerned with Islamic and Arabic research and studies

Volume 13, No 1, 1437 H/2016 M السنة الثالثة عشرة، العدد 1، 1437هـ/2016م

رئيس التحرير
غلمان الوسط عمر حسن

هيئة التحرير
محمد شيرازي دمياطي أحمددين أحمد طهار
أحمدي عثمان يولي ياسين

تحرير ومراجعة لغوية
فاتح الندى أدي فخر الدين

تجهيز فني
محمد خير المستغفرين

سكرتير التحرير
نيل الهدى

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير:
Fakultas Dirasat Islamiyah Universitas Islam Negeri (UIN) Syarif Hidayatullah,
Jl. Ir. Juanda No. 95 Ciputat Jakarta 15412 Indonesia

البريد الإلكتروني:
journal.alzahra.fdi@uinjkt.ac.id

عنوان المجلة على شبكة الإنترنت:
http://journal.uinjkt.ac.id/index.php/zahra

المحتوى

حديث الزهراء

الحفاظ على البيئة ودفع تلويثها في الإسلام

فاتح الندى وأدي سوفريادي ومحمد أيوب 5

البحوث والدراسات

متعلم العربية في إندونيسيا حاجاته وتطلعاته

وائل علي السيد 19

المعرفة والبحث عن اليقين عند عبد الكريم القشيري (ت 465 هـ)

عبد الحي الكتاني 36

سلسلة الشخصيات الحوارية في القرآن

نبيل 54

قلب الدين صوره وتكييفه دراسة تأصيلة تحليلية

بيدر محمد بن محمد حسن 61

منهج فهم السنة النبوية عند الامام الشافعي في كتابه "الرسالة"

عبد الحكيم الواحد 76

ضوابط معرفة الحديث الموضوع عند ابن القيم في كتابه المنار المنيف

أدي فخر الدين 96

المعرفة والبحث عن اليقين عند عبد الكريم القشيري (ت 465 هـ)

عبد الحي الكتاني
كلية الأصول الدين جامعة ابن خلدون بوغور

Abstract
Everyone should undesrtand the knowledge or science, for getting the perfection of himself and goodwill, straightening his behavior, and because God honor and prise him, and promise a great reward, and if science requirement of every human being, especially intellectuals and scholars, do not mean to learning whatever would or ever, but they should priority conviction science, it means conviction in science should be the porpouse of scholar looking for the right, and take the path or approach that give him a ride to achieve this porpouse. This article talks about the concept of understand and knowledge of al-Qushayri who is the big scholar of Islam.

Key Word: *المعرفة (understand), العلم (knowledge), القشيري(Qushayri)*

إن المعرفة أو العلم مطلب ينبغي أن يتطلع إليه كل إنسان، لأنه سبيله إلى كمال نفسه، وصلاح عمله، واستقامة سلوكه، ولأن الله تعالى كرمه، ورفع من شأنه، وأثنى على أهله، ووعدهم بالثواب العظيم، وإذا كان العلم مطلبا لكل إنسان فإن الصفوة منهم، وخاصة المفكرين، لا يقصدون إلى تحصيل العلم أيا كان شأنه أو نوعه، ولكنهم ينشدون من العلم ما هو يقيني، ومعنى هذا أن اليقين في العلم يعد أو ينبغي أن يكون غاية كل مفكر يبحث عن الحق، وأن يتخذ السبيل أو المنهج الذي يوصله إلى تحقيق هذه الغاية.[1]

ولما كنا بصدد الكلام عن المعرفة والبحث عن اليقين عند عبد الكريم القشيري (ت 465 هـ) فكانت لهذا الكلام أهميته الخاصة. حيث كان عبد الكريم القشيري (ت 465 هـ) عالما من علماء الإسلام الكبار، له أدواره المهمة وإسهاماته الثرية وبصماته الواضحة في نشر الثقافة الإسلامية وعلومه للأمة الإسلامية، في عصره ولمن بعده من الأجيال. ومسيرة حياته العلمية قد أثرت في شخصيته وفي تكوين منظومته المعرفية. فكان أصوليا ومتكلما وفقيها ومفسرا ومحدثا ولغويا ومتصوفا.[2] وصار شيخ حراسان في التصوف في وقته، و رئيس الأشاعرة في عصره.

وقد تعرض في حياته بسبب موقفه الفكري والعقدي لمحنة لعبها الوزير الجائر أبو نصر محمد بن منصور الكندري[3] المنتمي للمعتزلة والرافضة، فاضطر بسببها لمغادرة موطنه خراسان، فساح في البلاد. وسجل ما ناله من المحنة والأسباب وراءها في رسالته الشهيرة، شكاية أهل السنة بما نالهم من المحنة.[4]

ويبدو أن هذه التركيبات العلمية الثرية وخبرته في الحياة قد كونت له موقفا مميزا وفتحت له طريقا خاصا في التعامل مع المشكلات المعرفية وفي البحث عن اليقين. كما سنرى في الصفحات المقبلة.

المعرفة عند القشيري

يرى القشيري أن"المعرفة على لسان العلماء هي العلم، فكل علم معرفة، وكل معرفة علم".[5] ويرى أن من موجبات هذا العلم هو السكون.[6]

وقال القشيري في نفس الوقت إن هناك علما خاصا للمؤمنين، وهو الفهم عن الله، وهذا الفهم إنما يعطيه الله لمن يشاء من المؤمنين، واستدل القشيري بقوله تعالى في سورة فاطر الآية 1 (يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ)، وقال إن هذه الزيادة تقال أيضا بأنها المعرفة بالله بلا تأمل برهان.[7]

وعلى هذا، فكل عالم بالله تعالى عارف، وكل عارف عالم. وبين القشيري بأن المعرفة هنا صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته، ثم صدق الله تعالى في معاملاته، ثم تنقي عن أخلاقه الرديئة وآفاته، ثم طال بالباب وقوفه، ودام بالقلب اعتكافه، فحظي من الله تعالى بجميل إقباله، وصدق الله في جميع أحواله، وانقطعت عنه هواجس نفسه، ولم يصغ بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره.

وزاد القشيري بأن الإنسان إذا صار من الخلق أجنبيا، ومن آفات نفسه بريا، ومن المساكنات والملاحظات نقيا، ودامت في السر مع الله تعالى مناجاته، وحق في كل لحظة إليه رجوعه، وصار مُحَدَّثا من قبل الحق سبحانه بتعريف أسراره، فيما يجريه من تصاريف أقداره. وبهذا ويسمى هذا الإنسان عند ذلك عارفا، وتسمى حالته معرفة.[8]

وقال إن هذه المعرفة لها أماراتها، وهي حصول الهيبة من الله، فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبته. والمعرفة توجب السكينة في القلب، كما أن العلم يوجب السكون، فمن ازدادت معرفته ازدادت سكينته.[9]

وهنا قد تطرأ تساؤلات، وهي: إذا كان القشيري قد قال إن المعرفة عند الصوفية بلا تأمل برهان، هل معنى هذا أن القشيري والصوفية لا يعترفون بالعقل ولا يهتمون بالعلوم الكسبية؟ وهل هذا يطابق قول أحد المنتقدين للتصوف والمتصوفين حيث قال:"وقد دنت حيلة إبليس إلى جماعة من المتصوفة حتى منعوا من حمل المحابر تلامذتهم، وإنما زين عليهم إبليس ذلك لأنه أرادهم أن يمشوا في الظلمة"؟.[10]

ثم كيف كان منهجه الكلامي، حيث إنه كان رئيس الأشاعرة في عصره، والمنهج الكلامي يعتمد أساسا على الأدلة العقلية؟

وللإجابة عن تلك التساؤلات، فمن المهم في هذا المقام أن نتكلم عن العقل ومكانته ومجالاته في نظر عبد الكريم القشيري، لنعرف موقفه في هذا الأمر، ولمعرفة هل ذلك الانتقاد السابق صحيح أم خطأ؟

العقل عند القشيري

في الحقيقة لقد وضع القشيري العقل في مكانه الشريف. وحث في استخدام العقل وإعمال الفكر للوصول إلى العلم، والانتقال من الجهل والتردد وظلمات الشبه والضلال إلى العلم الموثوق والموقف الصحيح المبني على الاستدلال الصحيح. وعدم استخدام العقل في البحث عن جواهر العلم والاستدلال به، سيؤدي بالإنسان إلى الجهل والسقوط في ظلمات الحيرة. فقال القشيري بلا تردد معبرا ثقته بالعقل واحترامه له"اسبح بفكرك في بحار عقلك، وغص بقوة التوحيد فيها تظفر بجواهر العلم،

وإيّاك أن تقصّر في الغوص لسبب أو لآخر، وإياك أن تتداخلك الشّبه فيتلف رأس مالك ويخرج من يدك".[11]

ولأهمية العقل، يرى القشيري أن التفكير العقلي أمر ضروري. وبإعمال العقل، سيمهد الإنسان لسلوك طريق الاستدلال. واستدل لموقفه هذا بالخبر،"فكر ساعة خير من عبادة سنة".[12]

ويرى أن على الإنسان أن يستخدم عقله للنظر والتفكير، لأن من استخدم عقله في البحث عن العلم والمعرفة، سيصل إلى ذلك العلم لا محالة، فقال إن"مَنْ نَظَرَ حقَّ النظر، ووَضَعَ النظر موضعَه أثمر له العلم واجباً".[13]

وأما التقصير في المجاهدة في التفكير وإعمال النظر، سيؤدي إلى الكارثة، وسيعوق الإنسان عن الوصول إلى صلاحه في الأمور كلها، فعلى العقلاء والأذكياء أن لا يقصروا في مهامهم في النظر والتفكير، فنصح القشيري لهؤلاء"فسبيلُ مَنْ صحا عقلُه ألا يجنحَ إلى التقصير فيما به كمال سكونه".[14]

وسمى القشيري علم الإنسان بربه المبني على التفكير والحجج والبراهين العقلي بأنه أصل الأصول. ومن ذلك الأصل، بنى الإنسان المؤمن بربه كل استدلالاته في الأمور كلها. كما قال القشيري"فالعبد يعلم أولا ربّه بدليل وحجّة فعلمه بنفسه كسبيّ.. وهو أصل الأصول، وعليه ينبنى كل علم استدلالي!".[15]

وأبدى القشيري استغرابه ممن ينكر علم أصول الدين أو الكلام، الذي بني على الاستدلالات العقلية واستخدام الأدلة العقلية، ظانًا منهم أن ذلك العلم لا دليل له في القرآن الكريم أو السنة. وللرد على تلك المزاعم، استدل القشيري بقوله تعالى في سورة يس الآية 33، حيث قال الله تعال: (وآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ) فقال القشيري بأنه لَّما كان أمرُ البعث أعظمَ شُبَهِهِمْ، وكَثُرَ فيه إنكارُهم كان تكرارُ الله سبحانه لحديث البعث، وقد ضَرَبَ – سبحانه – المَثَلَ له بإحياء الأرض بالنبات في الكثير من الآيات. ويرى القشيري أن هذا الضرب للأمثال، إنما هو واحد من طرق الاستدلال العقلي. ولذلك يبدي عجبه"مَمَّنْ يُنْكِر علومَ الأصول ويقول ليس في الكتاب عليها دليل! وكيف يشكل ذلك وأكثر ما في القرآن من الآيات يحث على سبيل الاستدلال، وتحكيم أدلة العقول؟ ولكن يَهْدِي اللهُ لنوره من يشاء. ولو أنهم أنصفوا من انفسهم، واشتغلوا بأهم شيءٍ عندهم لَمَا ضَيَّعوا أصول الدِّين، ولكنهم رضوا فيها بالتقليد".[16]

فيرى القشيري أن المرض العضال الذي أصابهم ومنعهم من إعمال النظر واستخدام عقولهم للوصول إلى العلم والمعرفة، إنما هو التقليد. فالتقليد هو الذي منعهم من اتباع الطريق القويم في هذا الأمر.

وجوب النظر وعدم التقليد

فأكد القشيري على مشروعية النظر ووجوب التفكير واستخدام الأدلة العقلية، مع عدم التقليد. واستدل القشيري بقوله تعالى في سورة الأنبياء الآية 24 موقفه الجازم بشأن مكانة العقل وضرورة إعماله

في الاستدلال للوصول إلى العلم الصحيح وعدم التقليد بالغير في هذا الأمر، حيث قال الله تعالى: (أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ) سورة الأنبياء الآية 24، فقال القشيري بأن الآية دلت على فسادِ القول بالتقليد، ووجوبِ إقامة الحجة والدليل. ودلَّت الآية أيضا على توحيد المعبود، ودلَّت الآية على إثبات الكسب للعبيد؛ إذ لولاه لم يتوجه عليهم اللومُ والعَتْبُ. وكلُّ مَنْ علَّقَ قلبه بمخلوق، أو تَوَهَّمَ من غير الله حصولَ شيءٍ فَقَد دَخَلَ في غمار هؤلاء لأنَّ الإله مَنْ يصحُّ منه الإيجاد. قوله : { هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي } : الإشارة منه أن الدِّينَ توحيدُ الحق، وإفرادُ الربِّ على وصف التفرد ونعت الوحدانية.[17]

واستنبط القشيري من قوله تعالى (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ الحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ) بأن الكافرين والمشركين إنما عدموا العلم لإعراضهم عن النظر، ولو وضعوا النظر موضعه لوَجَبَ لهم العلم لا محالة، وهذا الأمر في رأي القشيري يدل على وجوب النظر، بل وأكد بأنَّ العلومَ الدينية كُلَّها كسبية.[18]

ولذلك شدد القشيري على منع التقليد، فبسبب التقليد بالآباء زلت قدم الكافرين والمشركين ووقعوا في الكفر والإنكار. ففي تفسيره لقوله تعالى في سورة الأنبياء الآية 53-55،

(قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ. قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ) قال القشيري بأنهم ما استروحوا في الجواب إلا إلى التقليد، فكان من جوابه الحُكْمُ بالتسوية بينهم وبين آبائهم في الضلال، والحجة المتوجهة على سلفهم لزموها وتوجهت عليهم، فلم يرضوا منه بتخطئة آبائهم حتى قالوا : (أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللاَّعِبِينَ) فطالبوه بالبرهان إلى ما دعاهم إليه من الإيمان. فقال الله تعالى لإجابة هؤلاء: في سورة الأنبياء الآيات 56 الى 60: (قالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلى ذلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ. وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ. فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً إِلاَّ كَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ. قالُوا مَنْ فَعَلَ هذا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ. قَالُوا سَمِعْنا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقالُ لَهُ إِبْراهِيمُ) ومن هذه الآيات قال القشيري بأننا نعرف أن الله تعالى أجاب طلبهم بإحالتهم إلى النظر والاستدلال والتعرّف من حيث أدلة العقول. لأنّ إثبات الصانع لا يعرف بالمعجزات، وإنما المعجزات علم بصدق الأنبياء عليهم السلام، وذلك فرع لمعرفة الصانع.[19]

ولأهمية النظر والتفكير وعدم التقليد، فإن الله تعالى وبخ في سورة الجمعة الآية 5 هؤلاء الذين يقرأون التوراة ولكنهم لا يفهمون محتواها ولا يعملون بما فيها، (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُواْ التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِئَايَاتِ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) سورة الجمعة الآية 5، ويرى القشيري بأنه يلْحَقُ بهؤلاء في الوعيد - من حيث الإشارة- الموسومون بالتقليد في أي معنى شِئتَ : في علم الأصول، ومما طريقُه أدلةُ العقول، وفي هذه الطريقة مما طريقُه المنازلات[20].

مجالات العقل وحدود صلاحية عمله

وإذا قرأنا إشادة القشيري لمكانة العقل وضرورية النظر والتفكير، فمن المهم أن نعرف المجالات

المتاحة للعقل وعمله في رأي القشيري.

ويرى القشيري أن العقل هو واحد من الوسائل المتاحة للإنسان للوصول إلى المعرفة. وهو نور من الأنوار التي وهبها الله للإنسان لذلك الغرض، فقال القشيري بأن الله"زَيَّن القلوب بأنوار هى نور العقل ونور الفهم ونور العلم ونور اليقين ونور المعرفة ونور التوحيد، فلكلّ شيء من هذه الأنوار مطرح شعاع بقدره فى الزيادة والنقصان".[21] ولما كان العقل نورا من الأنوار، ولكل نور مجال عمله الخاص وحدود صلاحيته الخاصة. وبين القشيري طرفا من ذلك، حيث قال بأن العقل هو نور في البداية، ثم تليه أنوار أخرى في إرشاد الإنسان إلى طريق الفلاح، وقال:"نور فى البداية هو نور العقل، ونور فى الوسائط هو نور العلم ونور فى النهاية هو نور العرفان فصاحب العقل مع البرهان، وصاحب العلم مع البيان، وصاحب المعرفة فى حكم العيان".[22]

وقد استخدم القشيري العقل والأدلة العقلية وطرق الاستدلال العقلي في مجاله الخاص له. وكذلك في تناوله العلوم الدينية. حيث أكد في هذا الصدد بأنَّ العلومَ الدينية كُلَّها كسبية،[23] أي أن فهم تلك العلوم واكتسابها إنما بإعمال العقل والاجتهاد فيه وتدريب القرائح والمداومة على المذاكرة في مسائلها ليس بالدعة أو الكسل أو مجرد التمني.

وطبق القشيري هذه القاعدة في حياته الخاصة وفي تأليفاته العلمية.

وذلك كالآتي:

أ- الاجتهاد في طلب العلم وتدريسه.

قدم القشيري نموذجا مشرفا في هذا الأمر. حيث ترعرع ونشأ مع طلب العلم ونبغ في عديد من الفنون العلمية، من الأصول والكلام والفقه والحديث والتفسير اللغة والتصوف. ثم عاش طويلا حتى تسعين سنة تقريبا وقضى عمره في نشر العلم. وأثرى المكتبة الإسلامية بمؤلفاته القيمة. وهذا الأمر مما لا يستطيع أحد أن ينكره فيه. حتى ذهب بعض الباحثين –الذي يبدو أنه تعود على موقف نمطي معين بشأن موقف الصوفية من العلم وإعمال العقل- إلى القول بشأن القشيري بأنه :"خالف القشيري الصوفية الذين يدعون إلى الجهل وترك العلم".[24]

ب- استخدام الأدلة العقلية في علم الكلام مع بيان حدود صلاحية العقل فيه.

وكان القشيري من المشتغلين بعلم الكلام، بل يعرف بأنه رئيس الأشاعرة في عصره. ويرى أن علماء التوحيد أو الكلام هم بمثابة رجوم للكفار والملحدين في الدفاع عن العقيدة الإسلامية ضد شبهات هؤلاء الكفار والملحدين.[25] وقد استدل القشيري على مشروعية علم الكلام بأدلة منها قوله تعالى في سورة الحج الآية 8، حيث قال الله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ)، فيرى القشيري أن دليل الخطاب في الآية يقتضي جواز المجادلة في الله إذا كان صاحب المجادلة على علمٍ بالدليل والحجة ليستطيع المناضلة عن دينه، قال سبحانه لنبيِّه : (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[النحل : 125] ولما كان الأمر إنما بالمجادلة بطريقة حسنة، فمَنْ لم يُحْسِنْ مذهبَ الخَصْمِ وما يتعلق به من الشُبَهِ لم يمكنه الانفصال عن شُبْهَتِهِ، وإذا لم تكن له قوة الانفصال فلا يُسْتَحَبُّ له أن يجادل الأقوياء منهم، ويرى

أن هذا يدل على وجوب تعلُّم علم الأصول، وفي هذا ردٌّ على مَنْ جَحَدَ ذلك.[26]

والقشيري لم يكتف بالقول بمشروعية علم الكلام، بل يستنبط من الآية أيضا بإيجاب علم الكلام. ولكن شدد على أن يكون ذلك للقادرين عليه فحسب. وليس لكل أحد من المسلمين أو لعامتهم.

وأما المجادلة مع جاحدي الدين بدون وجه الصواب أو بدون الزاد العلمي أو المجادلة مع المسلمين لمجرد المراء وطلب الشهرة وقصد الغلبة، فقد يؤدي ذلك إلى الفساد بدلا من الإصلاح الذي يريده. كما نبهه الله تعالى في سورة الحج الآية 3: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ)، فلهذا قال القشيري: المجادلة لله – مع أعداء الحق وجاحدي الدِّين – من موجبات القربة، والمجادلةً في الله – والمماراة مع أوليائه، والإصرارُ على الباطل بعد ظهور الدلائل من أمارات الشقوة، وما كان لوساوس الشيطان ونزعاته فقصاراه النار.[27]

ففي نفي الله تعالى عن الشبه أو التمثيل، كما في قوله تعالى في سورة الشورى الآية 11 (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ). فالقشيري يستخدم الأدلة العقلية ومناهجها، منها مقولات عشر لأرسطو لتنزيه الله عن كل احتمال التشبيه بالمخلوقات، سدّا لكل تصور أو محاولة لتشبيه الله تعالى بشيء من مخلوقاته. فهو هنا كأحد الأشاعرة الذين يستخدمون الأساليب والأدلة العقلية للدفاع عن العقيدة أمام سوء فهم غير المسلمين ولحفظها من محاولة التشويه أو التشويش من أعداءها. فاستخدموا الأساليب والمناهج العقلية المتبعة والمعترفة لدى الأعداء للدفاع عن العقيدة الإسلامية.

فقال القشيري في استدلاله على تنزيه الله تعالى عن التشبه بالحوادث"محدث العالم ليس بجوهر، لأن الجوهر يحتمل الحوادث، والقديم سبحانه لا يحله الحوادث. محدث العالم ليس بعرض، لأن العرض لا يقوم بنفسه، والباري قائم بنفسه. صانع العالم ليس بجسم، لأنه واحد وأقل الجسم جوهران تضامّا. القديم سبحانه لا لون له، ولا طعم. لأن الألوان والطعوم متضادة، فجميعها يستحيل أن يثبت، ولا بعض أولى من بعض، فلا لون له ولا طعم. القديم سبحانه لا ماهية له، ولا يقال ما هو لأن ما هو سؤال عن الجنس ولا جنس للقديم. ولا يقال للمعبود كيف هو لأنه يستخبر بكيف عن الهيئة والحالة، والباري سبحانه لا هيئة له ولا حال. لا يقال أين هو، لأن أين يستخبر بها عن المكان، والقديم سبحانه لا مكان له. لا يقال متى كان، لأنه سؤال عن الزمان، والقديم سبحانه لا يجوز عليه الزمان.."[28].

وكذلك في إثباته على حدوث العالم، قد استخدم القشيري الدليل العقلي، حيث قال:"العالم محدث، دليله أن اختصاصه بالوجود دون العدم يقتضي مخصصا"[29].

واستخدم القشيري أيضا الدليل العقلي في القول بأن محدث العالم قديم. حيث قال:"محدث العالم قديم. دليله أنه لو كان محدثا اقتضى محدثا، ثم كذلك محدثه. ولكان يتسلسل ولا يتناهى وذلك محال"[30].

ج- مجال العقل

ولكن، مع استخدامه الأدلة العقلية، فالقشيري قد نبه على أمر مهم في شأن العقل ومجاله وحدود صلاحيته. وهو أن الواجبات كلها إنما تأتي من الوحي، أو السمع، فلا صلاحية للعقل للقول بالإيجاب في

الأمور الدينية أو الغيبية. فقال القشيري في هذا الصدد:"الواجبات كلها سمعية، وليس فيها شيء عقلي. دليله أن العقل عرض، فيستحيل أن يقال إنه موجب. إرسال الرسل من طريق العقل جائز، لأنه تصرف من المالك في ملكه، وهو ليس بواجب بالعقل لما ذكرنا أنه ليس في الواجبات شيء عقلي".[31]

وبناء على هذه القاعدة، قال القشيري بشأن صفات الله وأسماءه، بأن العقل والأدلة العقلية لا دخل لها في إيجاب صفة ما أو اسم ما لله تعالى، فكل ذلك إنما نتلقاه من الوحي (من القرآن الكريم والسنة) أو الإجماع. فقال القشيري:"ونؤمن بجميع ما ذكر في صفته من نعوته وأسمائه، ونعتبر التوقيف فيه من الكتاب والسنة وإجماع الأمة، ولا نعتبر له في تسمية استحقاقه من طريق أدلة العقول، ولا من حيث اللغة العربية".[32]

وعلى هذا، يرى القشيري أن أقصى ما وصله العقل في معرفة الله تعالى إنما لغاية ما يعرف أن هناك صانعا لهذه المخلوقات، لأن المخلوقات لا بد لها من الخالق، ولذلك"فأكثر أقوال العلماء فى الإخبار عنه: «البارئ» لأنهم فى الترقي فى شهود الفعل إلى شهود الفاعل. وأمّا أهل المعرفة فالغالب على لسانهم «الحق"لأنهم مختطفون عن شهود الآثار، متحققون بحقائق الوجود. ويقال إنّ الله- سبحانه- وقف الخلق بأسمائه فهم يذكرونها قالة، وتعزّز بذاته، والعقول- وإن صفت- لا تهجم على حقائق الإشراف، إذ الإدراك لا يجوز على الحق فالعقول عند بواده الحقائق متقنعة بنقاب الحيرة عند التعرض للإحاطة، والمعارف تائهة عند قصد الإشراف على حقيقة الذات، والأبصار حسيرة عند طلب الإدراك فى أحوال الرؤية، والحق سبحانه عزيز، وباستحقاق نعوت التعالي متفرّد".[33]

ويبدو أنه على نفس الموقف مع الجنيد البغدادي، حيث قال:"إن أول ما يحتاج إليه العبد من الحكمة، معرفة المصنوع صانعه، والمحدث كيف كان إحداثه، فيعرف صفة الخالق من المخلوق وصفة القديم من المحدث، ويذل لدعوته ويعترف بوجوب طاعته، فإن من لم يعرف مالكه لم يعترف بالملك لمن استوجبه".[34]

وقد بنى القشيري موقفه السابق بشأن حدود العقل في المسائل الدينية على قول الله تعالى في سورة الحجرات الآية 16، حيث قال تعالى (قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)، فاستنبط من تلك الآية، وقال:"تدل الآية على أَنَ الوقوف في المسائل الدينية يُعْتَبرُ واجباً؛ فالأسامي منه تَؤْخَذ، والأحكامُ منه تُطْلَب، وأوامره مُتَّبعة".[35]

ويرى القشيري أن الخطأ في النظر إلى العقل وفي مكانته وحدوده داخل منظومة التفكير سيؤدي إلى الكارثة. وذلك كما حصل للملائكة التي تقارن نفوسهم بنفس آدم، وتنسب الفضل لنفوسهم فوق آدم، بسبب تسبيحهم لله، فهنا نبههم الله تعالى على خطأهم، فقال: في سورة البقرة الآية 31 «إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ»، وقال القشيري إن في ذلك السؤال إشارة إلى أنهم تعرّضوا لدعوى الخصوصية، والفضيلة والمزية على آدم، فعرّفهم أن الفضل ليس بتقديم تسبيحهم لكنه فى قديم تخصيصه. ولّما علم الحقّ سبحانه تقاصر علومهم عن معرفة أسماء المخلوقات ثم كلّفهم الإنباء عنها صار فيه أوضح دلالة على أنّ الأمر أمره، والحكم حكمه، فله تكليف المستطيع.[36]

ويرى القشيري أن في ذلك أيضا لردا على من توهّم أن أحكام الحق سبحانه معلّلة باستحسان أرباب الغفلة بما يدعونه من قضايا العقول. لا بل له أن يلزم ما يشاء لمن يشاء، الحسن ما حكم بتحسينه والقبيح ما حكم بتقبيحه.[37]

وحيث إن القشيري قد بين مجال العقل وحدوده في المعرفة، يطرأ أمامنا تساؤل عن رأي القشيري بشأن طرق الحصول على المعرفة لديه، فما هي؟

طرق الحصول على المعرفة ووسائلها

وقد استنبط القشيري من قوله تعالى في سورة النحل الآيتين 10-11، طرق الموصلة للمعرفة. وهي:

أ-التفكر

ب-والتعقل أو العلم.

ج-والتذكر.

كما قال القشيري في قوله تعالى)هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً لَكُمْ مِنْهُ شَرابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ. يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(سورة النحل: 10-11، فقال القشيري: أنزل المطر وجعل به سقيا النبات، وأجرى العادة بأن يديم به الحياة، وينبت به الأشجار، ويخرج الثمار، ويجرى الأنهار. ثم قال: «إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» ثم قال بعده بآيات: «لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ»، ثم قال بعده: «لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ». وعلى هذا الترتيب تحصل المعرفة، فأولا التفكر ثم العلم ثم التذكر، أولا يضع النظر موضعه فإذا لم يكن فى نظره خلل وجب له العلم لا محالة، ولا فرق بين العلم والعقل فى الحقيقة، ثم بعده استدامة النظر وهو التذكر".[38]

وزاد بأن من يريد أن يكون عارفا بالله فهو في حاجة إلى كل تلك الوسائل،"لأنه يحصل له كثير من العلوم حتى يصير عارفا، وكل جزء من العلم تحصل له آية ودليل، فللعالم حتى يكون عارفا بربّه آيات ودلائل، لأن دليل هذه المسألة خلاف دليل تلك المسألة فبدليل واحد يعلم وجه النظر، وبأدلة كثيرة يصير عارفا بربه".[39]

ويرى القشيري أن الله تعرّف إلى العباد بطرق شتى، فمنها يعلم بالحواس والعقل، ومنها يعرف بالخبر والنقل، ومنها يعرف بإلهام من الله بلا وسيلة برهان. كما قال القشيري:"تعرّف إلى العباد بأفعاله، وندبهم إلى الاعتبار بها، فمنها ما نعلم منه ذلك معاينة كالسموات والأرض وغيرها، ومنها ما سبيل الإيمان به الخبر والنقل- لا بدليل العقل- والملائكة من ذلك فلا نتحقق كيفيّة صورهم وأجنحتهم، وكيف يطيرون بأجنحتهم الثلاثة أو الأربعة، ولكن على الجملة نعلم كمال قدرته، وصدق كلمته"وزاد القشيري أن هناك زيادة عن ذلك، وهي المعرفة بالله التي تحصل بلا تأمل برهان، بل بهبة من الله تعالى.[40]

ومن بيان القشيري السابق، نستطيع أن نقول إن وسائل المعرفة عنده هي:

1-العقل.

2-الحواس.
3-الخبر الصادق والنقل الصحيح.
4-الإلهام أو هبة من الله.

وبين القشيري أن من النوع الأخير أيضا ما هو"تعريفات في أوقات المعاملات فما يجده العبد في حالاته من انغلاق، واشتداد قبض، وحصول خسران، ووجوه امتحان.. لا شكَّ ولا مرية إذا أَخَلَّ بواجبٍ أو ألَمَّ بمحظور. أو تكون زيادة بَسْطٍ أو حلاوة طاعة، او تيسير عسيرٍ من الأمور، أو تجدد إنعامٍ عند حصول شيءٍ من طاعاته".[41]

بل من هذا النوع أيضا، ما هو أكثر تخصيصا، وهو كما قال القشيري"ما قد يكون آيات في الاسرار، هي خطابُ الحقِّ ومحادثةٌ معه، كما في الخبر: « لقد كان في الأمم مُحَدَّثون فإن يك في أمتي فعمر»[42]. ثم يقال الآيات ظاهرةٌ، والحجج زاهرة، ولكن الشأن فيمن يستبصر".[43]

وهذا النوع الأخير، إنما محله القلب، فالقلب هو الذي يتلقى تلك الإلهامات والخواطر من الله تعالى، فهو جهاز عجيب في الإنسان، وهذا القلب مختلف بين إنسان لآخر، على حسب استعداده في تلقى تلك الواردات، وقد شبه القشيري تلك القلوب بالمعادن في هذا العالم، كما أن تلك المعادن مختلفة النوع والصفة والخاصية وكذلك قلوب الإنسان:"وكما أن في الموجودات معادن مختلفة فكذلك القلوب معادن جواهر الأحوال فبعض القلوب معادن المعرفة، وبعضها معادن المحبة، وبعضها للشوق، وبعضها للأنس.. وغير ذلك من الأحوال كالتوحيد والتفريد والهيبة والرضا".[44]

والحصول على هذه الهبة من الله تعالى إنما بتنقية القلب ليأهله لتلقي تلك الواردات، ثم التوجه إلى الله بالدعاء والإلحاح والطلب، لعل الله تعالى كرمه بذلك النوع من المعرفة، لأن الله هو الذي يعطي أو يمنع هذا الشيء لمن يريد، فلا دخل للعقل للوصول إلى هذا النوع من المعرفة ولا الاستدلال ولا التعقل، وقال القشيري مبينا تلك الحقيقة"وفائدة التعريف بأن المقاليد له: أن يقطع العبد أفكاره عن الخلق، ويتوجّه فى طلب ما يريد من الله الذي «يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَيَقْدِرُ» (سورة الشورى: 12)، والذي هو «بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» : يوسّع ويضيّق أرزاق النفوس وأرزاق القلوب حسبما شاء وحكم وعلم".[45]

أنواع المعرفة ومجالاتها

ولاحظ القشيري تنوع الناس في المعرفة على حسب استعدادهم وكذلك تخصصهم العلمي، فلكل إنسان له ميزته وميله الفطري على حسب استعداداته العقلية وتركيباته النفسية والقلبية. فقال"النفوس أرض عبادة العابدين، وقلوب العارفين أرض المعرفة وأرواح المشتاقين أرض المحبة، والخوف والرجاء لها رواس. وكذلك الرغبة والرهبة. ويقال من الرواسي التي أثبتها فى الأرض الأولياء فبهم يثبت الناس إذا وقع بهم الفزع. ومن الرواسي العلماء الذين بهم قوام الشريعة فعلماء الأصول هم قوام أصل الدّين، والفقهاء بهم نظام الشرع".[46]

وفي مكان آخر بين القشيري ذلك التخصص العلمي أكثر وضوحا، بل وحدد مجال كل

المتخصصين بشكل دقيق. ولا يسمح الخروج من دائرة تخصص الكل. فقال:"أهلُ الذكر العلماءُ من أكابر هذه الأمة والذين آمنوا بنبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – ويقال هم أهل الفهم من الله أصحاب الإلهام الذين في محل الإعلام من الحقِّ – سبحانه – أو من يُحْسِنُ الإفهامَ عن الحق. ويقال العالم يرجع إلى الله في المعاملات والعبادات، وإذا اشتكلت الواقعةُ فيخبر عن اجتهاده، وشرطه ألا يكون مقلداً، ويكون من أهل الاجتهاد، فإذا لم يخالف النصَّ وأدى اجتهاده إلى شيء ولم يخالف أصلاً مقطوعاً بصحته وجب قبول فتواه، وأمَّا الحكيم فإذا تكلم في المعاملة فإنما يقبل منه إذا سبقت منه المنازلة لما يُفْتَى به فإن لم تتقدم له من قِبَله المنازلة ففتواه في هذا الطريق كفتوى المقلِّد في مسائل الشرع. فأمَّا العارف فيجب أن يتكلم في هذا الطريق عن وَجْدِه – إنْ كان – وإلا فلا تُقْبَلُ فتواه ولا تُسمَع".[47]

ويلاحظ في كلام القشيري السابق أنه فرق بين مجال علماء الأصول ومجال الفقهاء، وحدد لكل تخصص العلم مجاله الخاص لا يتعداه وواجباته المنوطة به. وكذلك فرّق بين عالم في علوم التجربة الذي يسميه حكيما، والعارف صاحب السلوك. ومن الممكن أن نفصل ذلك الأمر كالآتي:

أ- عالم الأصول أو أصول الدين. فواجبهم هو الدفاع عن العقيدة ضد تشكيك الملحدين والكفار، وشبهاتهم. والعالم القائم بهذه المهمة لا بد أن يكون خبيرا بمقالات الأعداء وطرق ردها وعنده القدرة على المجادلة بالحسن. فإذا لم تتوفر لأحد هذه الشروط والمواصفات، فلا يجوز له إقحام نفسه في هذه المهمة. لأنه بتلك المقدرة الضعيفة، فربما ضرر عمله أكثر من الإصلاح الذي يبتغيه. فليس لكل أحد أن يتحمل هذه المهمة، بل لا بد من الخبير المتخصص في هذا المجال، له خبرته وقدرته المعترفة لدى الخبراء في المجال.

ب- الفقيه أو العالم في أحكام العبادات والمعاملات. فمسؤولية هذا العالم أو الفقيه هي إجابة المشكلات الفقهية للعوارض النازلة لدى الأمة، فهو لا بد أن يكون أهل الاجتهاد ولا يكون مقلدا. وبهذا المؤهل العلمي بإمكانه أن يكون مرجعا في الفقه، وفتواه الفقهي من الممكن أن يعمل به، إذا لم يخالف النص ولا يخالف أصلا مقطوعا.

ت- العالم في العلوم التجريبية أو المهنية، من الفيزيقا أو الكيمياء أو الرياضية، وما شابهها، فكلامه يقبل في دائرة تخصصه وخبرته العلمية، فلا يجوز أن يتكلم خارج تخصصه. وإذا تكلم في تخصصه، فكلامه يستحق أن يقبل.

ث- المتصوف أو السالك، إنما يستحق أن يتكلم في دائرة خبرته الشخصية في السلوك لمن يسأل، من التجارب الذاتية والوجدانية، فلا يستحق له أن يتكلم خارج ذلك التخصص. وإذا تكلم خارج مجاله، فكلامه لا يستحق أن يلتفت إليه.

ويبدو أن تجارب الحياة التي مر بها القشيري وكذلك بملاحظته حالة العلوم الإسلامية في عصره مثل التصوف وغيره، قد أقنعته أن المشكلات التي مرت بها الأمة الإسلامية في عصره يرجع بعضها إلى الخلط في التحصصات في العلم، ولذلك قام بمحاولة إنعاش التصوف الإسلامي من الانقراض بسبب اختفاء المعالم الصحيحة فيه مع ظهور الأدعياء، فكتب رسالته الشهيرة في التصوف، وأظهر مآثر سلف

الصوفية. وهكذا في مجال علم الكلام ودراسات العقيدة، حيث يرى بل يتجرع مرارة الفتنة بسبب الاختلاف العقائدي داخل المجتمع الإسلامي، فلاحظ أن السبب في ذلك هو انفلات الاختلاف الكلامي من دائرة المتخصصين من العلماء إلى ساحة العوام، بل يستغله بعضهم لأغراض سياسية. ولذلك رأى القشيري أن الحل لتلك المشكلات إنما باحترام التخصص العلمي، مع معرفة حقيقة ذلك العلم، من حيث مجال بحثه وحدوده وسمات المتخصصين فيه.

وبعد عرض رأي القشيري في المعرفة، فمن المناسب أن نعرف رأيه في اليقين، وما حقيقة اليقين عنده، وأنواع اليقين، وكيف الحصول على اليقين، وما هي موانع الحصول على اليقين؟.

اليقين عند القشيري

إن حقيقة اليقين في رأي القشيري هي"التخلص عن تردد التخمين، والتقصي عن مجوزات الظنون".[48] و"الظّنّ ينافى اليقين، فإنه ترجيح أحد طرفى الحكم على الآخر من غير قطع".[49] والظن أيضا ينافي العلم، لإن الظن بمثابة الجهل.

والله تعالى أراد من عباده أن يخرج من ظلمات الشك إلى نور اليقين، ومن إشكال الجهل إلى روح العلم. وهذه المهمة هي التي دعا إليها الرسل لأمته".[50] فالعبد الصالح، هو الذي"يرجع من العادة إلى العبادة، ومن الشّكّ إلى اليقين، ومن الخلق إلى الحقّ، ومن الجهل إلى العلم، ومن النّكرة إلى العرفان".[51]

ويرى القشيري أن اليقين هو أيضا عماد الإيمان. و"حقيقة الإيمان التصديق ثم التحقيق، وموجب الأمرين التوفيق. والتصديق بالعقل والتحقيق ببذل الجهد، فى حفظ العهد، ومراعاة الحد. فالمؤمنون هم الذين صدّقوا باعتقادهم ثم الذين صدقوا فى اجتهادهم. وأمّا الغيب فما يعلمه العبد مما خرج عن حد الاضطرار فكل أمر دينى أدركه العبد بضرب استدلال، ونوع فكر واستشهاد فالإيمان به غيبيّ. فالرب سبحانه وتعالى غيب. وما أخبر الحق عنه من الحشر والنشر، والثواب والمآب، والحساب والعذاب- غيب. وقيل إنما يؤمن بالغيب من كان معه سراج الغيب، وأن من أيّدوا ببرهان العقول آمنوا بدلالة العلم وإشارة اليقين، فأوردهم صدق الاستدلال ساحات الاستبصار، وأوصلهم صائب الاستشهاد إلى مراتب السكون فإيمانهم بالغيب بمزاحمة علومهم دواعى الريب".[52]

وعلى هذا، فـ"أرباب الحقائق على بصيرة وقطع، فالظنّ فى أوصاف الحقّ معلول، والقطع- فى أوصاف النّفس- لكل أحد معلول. والعبد يجب أن يكون فى الحال خاليا عن الظن إذ لا يعرف أحد غيب نفسه فى مآله. وفى صفة الحقّ يجب أن يكون العبد على قطع وبصيرة فالظنّ فى الله معلول، والظن فيما من الله غير محمود. ولا يجوز بوجه من الوجوه أن يكون أهل المعرفة به سبحانه- فيما يعود إلى صفته- على الظن، كيف وقد قال الله تعالى فيما أمر نبيّه- عليه السلام- أن يقول: «أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي"سورة يوسف 108.[53]

طريق اليقين

يرى القشيري أن علوم الناس تختلف في الطرق إلى اليقين خفاء وجلاء، فما يقال عن الفرق بين

علم اليقين وعين اليقين وحقّ اليقين يرجع إلى كثرة البراهين، وخفاء الطريق وجلائه، ثم إلى كون بعضه ضروريا وإلى بعضه كسبيا، ثم ما يكون مع الإدراكات.[54]

فالله تعالى تعرّف إلى قلوب العلماء بدلالات صنعه فى بديع حكمته، وبما يدل منها على كمال قدرته، وشمول علمه وحكمته، ونفوذ إرادته ومشيئته. فمن أنعم النظر وصل إلى برد اليقين، ومن أعرض بقي فى وهدة الجحد وظلمات الجهل.[55]

فالذي أُنعم باليقين، بعد ظهور البيان ووضوح البرهان- فليس من المعقول أن يترك ذلك اليقين ثم النزول إلى ساحة التخمين والظن، ويترك الحق وذلك الحظ.[56]

والشك وعروق النّفاق لا تقتلع من عرصات اليقين إلا بمنجل التّحقّق بصحيح البرهان فمن أيّد لإدامة المسير، ووفّق لتأمل البرهان وصل إلى ثلج الصدر وروح العرفان. ومن أقام على معتاد التقليد لم يسترح قلبه من كدّ التردّد، وظلمة التجويز، وجولان الخواطر المشكلة فى القلب.[57]

و في الحقيقة، إن الله تعالى هو الذي يلقي بقلوب المؤمنين من البراهين ما أوجب لهم قوة اليقين، ولكن ليست العبرة بأفعال الخلق ولا بأعمالهم إنما المدار على مشيئة الحق، سبحانه وتعالى فيما يمضى عليهم من فنون أحوالهم.[58]

ويرى أن الذين آمنوا هم الذين كحل الحقّ أبصار قلوبهم بنور اليقين، والذين لم يؤمنوا فهم الذين وسم قلوبهم بالعمى فزلّوا- بالضلالة- عن الهدى. تلك سنّة الله فى الطائفتين، ولن تجد لسنّة الله تحويلا.[59]

وبهذا، فإن الله تعالى يوهن كيد الكافرين، بتقوية قلوب المؤمنين بنور اليقين، والثبات على انتظار الفضل من قبل الله، وموهن كيدهم: بأن يأخذ الكافرين من حيث لا يشعرون، ويظفر جند المسلمين عليهم.[60]

والمؤمنون هم الذين يتمتعون بالبصيرة. والبصيرة هي اليقين الذي لا مرية فيه، والبيان الذي لا شك فيه. البصيرة يكون صاحبها ملاطفا بالتوفيق جهرا، ومكاشفا بالتحقيق سرّا. ويقال البصيرة أن تطلع شموس العرفان فتندرج فيها أنوار نجوم العقل[61]. وأما"البصير فهو الذي يشهد من الحق أفعاله بعلم اليقين، ويشهد صفاته بعين اليقين، ويشهد ذاته بحق اليقين، والغائبات له حضور، والمستورات له كشف. فالذى يسمع فصفته ألا يسمع هواجس النّفس ولا وساوس الشيطان فيسمع من دواعى العلم شرعا، ثم من خواطر التعريف قدرا، ثم يكاشف بخطاب من الحق سرّا فهؤلاء لا يستويان، ولا فى طريق يلتقيان".[62]

علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين

تلك المصطلحات الثلاث، علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، في رأي القشيري، تعبر عن الصراط المستقيم، وهو طريق المسلمين، فهذا للعوام بشرط علم اليقين، ثم طريق المؤمنين وهو طريق الخواص بشرط عين اليقين، ثم طريق المحسنين وهو طريق خاص الخاص بشرط حق اليقين. فهؤلاء بنور العقل أصحاب البرهان، وهؤلاء بكشف العلم أصحاب البيان، وهؤلاء بضياء المعرفة بالوصف كالعيان،

وهم الذين قال صلى الله عليه وسلم فيهم: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»(الحديث متفق عليه).[63]

وبين القشيري تلك مسيرة الترقي الإيماني والإيقاني، بأن"السكينة ما يسكن إليه القلب من البصائر والحجج، فيرتقى القلب بوجودها عن حدّ الفكرة إلى روح اليقين وثلج الفؤاد، فتصير العلوم ضرورية. وهذا للخواصّ. فأمّا عوامّ المسلمين فالمراد منها: السكون والطمأنينة واليقين. ويقال: من أوصاف القلب في اليقين المعارف والبصائر والسكينة. وفي التفاسير: السكينة ريح هفّافة. وقالوا: لها وجه كوجه الإنسان. وقيل لها جناحان. «لِيَزْدادُوا إِيماناً مَعَ إِيمانِهِمْ» (سورة الفتح: 4) أي يقينا مع يقينهم وسكونا مع سكونهم. تطلع أقمار عين اليقين على نجوم علم اليقين. ثم تطلع شمس حقّ اليقين على بدر عين اليقين".[64]

وعلم اليقين وعين اليقين يعبران أيضا عن البداية والنهاية في مسيرة الإيمان. فعلم اليقين بمثابة البداية، حيث وجود البرهان والحجج والآيات الظاهرة يؤدي إلى علم اليقين، وأما عين اليقين، إنما يحصل بظهور الآيات الباطنة والهبة من الله تعالى.[65]

هذا التقسيم في اليقين، يمثل في رأي القشيري أنواع الثلاث من العباد الذين اصطفاهم الله للإيمان به، كما في قوله تعالى في سورة فاطر الآية 32، (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ)، فقال القشيري: "ويقال الظالم من له علم اليقين، والمقتصد من له عين اليقين، والسابق من له حق اليقين".[66]

موانع حصول اليقين

وأما الذين لا يحصلون على اليقين ويعيشون في الشك، فإن موانع حصول اليقين لديهم، في رأي القشيري، إنما بسبب خضوعم لهواجس النفس ووساوس الشيطان. وباتباعهم تلك الهواجس والوساوس، فلهم أعين لا يبصرون شواهد التوحيد وعلامات اليقين، فلا ينظرون إلا من حيث الغفلة، ولا يسمعون إلا دواعى الفتنة، ولا ينخرطون إلا مع سلك ركوب الشهوة.[67]

وكذلك من موانع حصول اليقين لهم، إصرارهم على الجحود، مع أن الأنبياء قد أوضحوا لهم"من البراهين مالوا أمعنوا النظر فيه لتمّ لهم اليقين، ولكنهم أصروا على الجحود، ولم يقنعوا من الموعود بغير المشهود".[68]

وهؤلاء في رأي القشيري بمثابة الأسراء،"والأسراء أصناف: فمن أسير غرق فى بحار الهوى فإنقاذه بأن تدلّه على الهدى. ومن أسير بقي فى أيدى الوساوس فافتداؤه أن ترشده إلى اليقين بلوائح البراهين لتنقذه من الشك والتخمين، وتخرجه عن ظلمات التقليد فيما تقوده إلى اليقين. ومن أسير تجده فى أسر هواجسه استأسرته غاغة نفسه، ففكّ أسره بأن تدلّه على شهود المنن، بتبرّيه عن حسبان كلّ حول يخلق وغير. ومن أسير تجده فى ربيطة ذاته ففكّ أسره إنشاده إلى إقلاعه، وإنجاده على ارتداعه. ومن أسير تجده فى أسر صفاته ففكّ أسره أن تدله على الحق بما يحل عليه من وثائق الكون»، ومن أسير تجده فى قبضة الحق فتخبره أنه ليس لأسرائهم فداء، ولا لقتلاهم عود، ولا لربيطهم خلاص، ولا عنهم بدّ، ولا إليهم

سبيل، ولا من دونهم حيلة، ولا مع سواهم راحة، ولا لحكمهم ردّ".[69]

خاتمة

وبعد عرض آراء القشيري في المعرفة والبحث عن اليقين، من الممكن أن نتوصل إلى النتائج الآتية:

1-المعرفة عند القشيري على المعنيين:

الأول: بمعنى العلم.

الثاني: بمعنى الفهم عن الله، أو المعرفة بالله بلا تأمل برهان.

2- وضع القشيري العقل في مكان شريف كإحدى الوسائل للحصول على العلم.

3- يرى القشيري مشروعية علم الكلام، واستدل على مشروعيته بالقرآن الكريم.

4- يرى القشيري وجوب النظر ومنع التقليد في الإيمان.

5- يرى القشيري أن العقل واحد من الوسائل المتاحة للوصول إلى المعرفة. وهو نور من أنوار القلب. ولكنه نور في البداية، تليه أنوار أخرى.

6- يرى القشيري أن العقل له حدوده لا يتعداها، منها: الواجبات كلها سمعية، وليس فيها شيء عقلي. لأن العقل عرض، فيستحيل أن يقال إنه موجب.

7- قال القشيري إن العقل والأدلة العقلية لا دخل لها في إيجاب صفة ما أو اسم ما لله تعالى، فكل ذلك إنما نتلقاه من الوحي الإلهي والإجماع.

8- يرى أن أقصى ما وصل إليه العقل في معرفة الله، إنما لغاية ما يعرف أن هناك صانعا لهذه المخلوقات. لأن المخلوقات لا بد لها من الخالق.

9- يرى القشيري أن وسائل المعرفة هي:

أ- العقل

ب- الحواس.

ت- الخبر الصادق والنقل الصحيح.

ث- الإلهام أو الهبة من الله تعالى.

10. ذهب القشيري إلى تحديد تخصص العلم ومجاله.

11. يرى القشيري أن اليقين درجات، وطرقه يختلف بعضه بعضا على حسب درجات اليقين.

12- يرى القشيري أن من موانع اليقين: الخضوع لهواجس النفس، ووساوس الشيطان، والإصرار على الجحود.

الهوامش

1. د. عبد المقصود عبد الغني، منهج البحث عن اليقين بين السلف والصوفية، ص 5، مكتبة الزهراء، القاهرة، 1993م.
2. و قال الذهبي (ت 748 هـ - 1374 م) بشأن حياة عبد الكريم القشيري (ت 465هـ): هو الإمام الزاهد، القدوة، الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبدالملك بن طلحة القشيري، الخراساني، النيسابوري، الشافعي، الصوفي، المفسر، صاحب"الرسالة"ولد سنة خمس وسبعين وثلاث مئة. وتعاني الفروسية والعمل بالسلاح حتى برع في ذلك، ثم تعلم الكتابة والعربية، وجود. ثم سمع الحديث من: أبي الحسين أحمد بن محمد الخفاف، صاحب أبي العباس الثقفي، ومن أبي نعيم عبدالملك بن الحسن الإسفراييني، وأبي الحسن العلوي، وعبد الرحمن بن إبراهيم المزكي، وعبد الله بن يوسف، وأبي بكر بن فورك، وأبي نعيم أحمد بن محمد، وأبي بكر بن عبدوس، والسلمي، وابن باكويه، وعدة. وتفقه على أبي بكر محمد بن أبي بكر الطوسي، والأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني، وابن فورك. وتقدم في الأصول والفروع، وصحب العارف أبا علي الدقاق، وتزوج بابنته، وجاءه منها أولاد نجباء. قال القاضي ابن خلكان: كان أبو القاسم علامة في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة. صنف"التفسير الكبير" وهو من أجود التفاسير، وصنف"الرسالة"في رجال الطريقة، وحج مع الإمام أبي محمد الجويني، والحافظ أبي بكر البيهقي. وسمعوا ببغداد والحجاز. ثم دخل نيسابور من قريته، فاتفق حضوره مجلس أبي علي الدقاق، فوقع في شبكته، وقصر أمله، وطلب القبا، فوجد العبا، فأقبل عليه أبو علي، وأشار عليه بطلب العلم، فمضى إلى حلقة الطوسي، وعلق"التعليقة"وبرع، وانتقل إلى ابن فورك، فتقدم في الكلام، ولازم أيضا أبا إسحاق، ونظر في تصانيف ابن الباقلاني، ولما توفي حموه أبو علي تردد إلى السلمي، وعاشره، وكتب المنسوب، وصار شيخ خراسان في التصوف، ولزم المجاهدات، تخرج به المريدون.وكان عديم النظير في السلوك والتذكير، لطيف العبارة، طيب الأخلاق، غواصا على المعاني، صنف كتاب"نحو القلوب"، وكتاب"لطائف الإشارات"، وكتاب"الجواهر"، وكتاب"أحكام السماع"، وكتاب"عيون الأجوبة في فنون الأسولة"، وكتاب"المناجاة"، وكتاب"المنتهى في نكت أولي النهى". قال أبو سعد السمعاني: لم ير الأستاذ أبو القاسم مثل نفسه في كماله وبراعته، جمع بين الشريعة والحقيقة، أصله من ناحية أستواءة، وهو قشيري الأب، سلمي الأم. قال عبد الغافر: توفي الأستاذ أبو القاسم صبيح يوم الأحد السادس والعشرين من ربيع الآخر، سنة خمس وستين وأربع مئة. قلت (الذهبي): عاش تسعين سنة. شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748 هـ - 1374 م)، سير أعلام النبلاء، ج 18-227-232، مؤسسة الرسالة بيروت، شارع سوريا، بناية صمدي وصالحة، الطبعة التاسعة، 1413 هـ/ 1993 م.
3. هو محمد بن منصور بن محمد الكندري أبو نصر، عميد الملك (412-456هـ) أول وزراء الدولة السلجوكية، انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 5 ص 138.
4. انظر: تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 3 ص 401 وما بعدها، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي

و د.عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 1413هـ.

5. عبد الكريم بن هوازن أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، الرسالة القشيرية في علم التصوف، ص 311، تحقيق وإعداد: معروف زريق و علي عبد الحميد بلطه جي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، 1410 هـ - 1990 م.
6. الرسالة القشيرية في علم التصوف، ص 312.
7. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 3 ص190-191، تحقيق: دكتور إبراهيم بسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، 2000 م.
8. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، الرسالة القشيرية في علم التصوف، ص 311-312.
9. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، الرسالة القشيرية في علم التصوف، ص 312.
10. الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي (ت597هـ)، تحقيق آدم أبو سنينة، دار الفكر للنشر والتوزيع، الأردن، 1987م.
11. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 3 ص 525.
12. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات،، ج 3 ص 525. والرواية ضعيفة، ذكرها الذهبي في ترتيب الموضوعات لابن الجوزي، رقم 1975.
13. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج3 ص 109.
14. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج3 ص 109.
15. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 3 ص 410.
16. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج3 ص 215-216.
17. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 2 ص498.
18. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 2 ص498.
19. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، 507/2-508.
20. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 3 ص583-584.
21. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 2 ص611.
22. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 1 ص 499-500.
23. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 2 ص498.
24. كوياتي محمود موري، آراء القشيري الكلامية والصوفية عرض ونقد، ص 55، رسالة الماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين قسم العقيدة، إشراف: د. لطف الله بن ملا عبد العظيم خوجه، 1430 هـ - 2009 م.
25. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الأشارات، 289/2.

26. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، 531/2.
27. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، 529/2.
28. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، الفصول في الأصول، ضمن ثلاث رسائل للقشيري، تحقيق: د الطبلاوي محمود سعد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، بدون تاريخ النشر. ص 39-41.
29. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، الفصول في الأصول، ضمن ثلاث رسائل للقشيري، ص 39.
30. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، الفصول في الأصول، ضمن ثلاث رسائل للقشيري، ص 39.
31. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، الفصول في الأصول، ضمن ثلاث رسائل للقشيري، ص 48.
32. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لمع في الاعتقاد، ضمن ثلاث رسائل للقشيري، ص 23.
33. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 1 ص 591.
34. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، الرسالة القشيرية في علم التصوف، ص 42.
35. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج3 ص 445.
36. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 1 ص 77.
37. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 1 ص 77. يبدو أن القشيري لا ينسى أن يستخدم تلك الفرصة لتعرية مقالة المعتزلة في قولهم بالتحسين والتقبيح العقليين.
38. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 2 ص 287-288.
39. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 2 ص 287-288.
40. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 3 ص190-191.
41. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 2 ص 534.
42. حديث صحيح رواه البخاري في صحيحه، بسنده عن أبي هريرة، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل.
43. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 2 ص 534.
44. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 3 ص 345-346.
45. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 3 ص346.
46. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 2 ص 266.
47. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 2 ص 493-494.
48. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج1 ص 58.
49. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 2 ص95.
50. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 2 ص239.
51. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 3ص299.

52. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج1 ص 56.
53. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 2 ص95.
54. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج3ص627.
55. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 2 ص617.
56. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 1 ص 496.
57. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 2 ص63.
58. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 1 ص 579.
59. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 2 ص97.
60. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج1 ص 612.
61. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 2 ص 213.
62. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 2 ص131.
63. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 2 ص 90-91.
64. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج3ص419.
65. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج1 ص 304.
66. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 3 ص205.
67. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج1 ص 590.
68. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج 2 ص134.
69. عبد الكريم أبو القاسم القشيري (ت 465 هـ)، لطائف الإشارات، ج1 ص 103.

TOWARDS MODERATE ISLAM

ISSN 1412-226x

AL-ZAHRÄ'

JOURNAL FOR ISLAMIC AND ARABIC STUDIES

In This Issue

- Preserving the Environment and the Prevention of Pollution in Islam
- Indonesian Student of Arabic Language: Needs and Aspirations
- The Concept of Understand and Knowledge of al-Qushayri
- The Series of the Dialogue Character in Quran
- Incurring Debt, It's Form and Application: An Aanalytical Study
- The Methode of Understanding Hadith on Shafi'i's View on His Book "al-Risala"
- The Rules and Criteria in Recognizing of Fabricated Hadiths: on Ibn Qayyim Through His Book Manarul Munif

Vol 13 No 1 ▪ 1437 H/2016 M